عوانة بن الحكم

[قال هشام بن الكلبي فحدثني] عوانة قال: أرسل يزيد إلى عبدالله بن الزبير أني قد جعلت علي نذراً أن يؤتى بك في سلسلة، قال: فلا أبر الله قسمه ولا وفق له الوفاء بنذره، فقال له أخوه عروة بن الزبير أو غيره وما عليك أن تبر قسم ابن عمك؟ قال: قلبي إذاً مثل قلبك، فقال أبو دهبل الجمحي، وهو وهب بن زمعة بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذاقة بن جمح:

لا يجعلنك في قيد وسلسلة ... كيما يقول أتانا وهو مغلول

بين الحواري والصديق ذو نسب ... صاف وسيف على الأعداء مسلول

وأراد ابن الزبير ابن عباس على البيعة وقد بايعه الناس فامتنع عليه نحواً من سنة ثم بايعه بعد، ويقال: إنه لم يبايعه حتى توفي. وكان امتناع ابن عباس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيد فظن أن ذلك لتمسكه ببيعته، فكتب يزيد إليه: أما بعد، فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى نفسه وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وإنك امتنعت من طاعته واعتصت عليه في بيعته وفاء منك لنا وطاعة لله بتثبيت ما عرَّفك من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم كأفضل جزاء الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنس من الأشياء لا أنس برك وحسن مكافاتك وتعجيل صلتك، فانظر من قبلك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي وتمسكك ببيعتي فإنهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحِل الحارب الملحد المارق والسلام.

فأجابه عبدالله بن عباس بجواب طويل يقول فيه :

سألتني أن أحث الناس عليك وأثبطهم عن نصرة ابن الزبير وأخذلهم عنه، فلا ولا كرامة ولا مسرة . . . أتحسبني لا أبالك نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبدالمطلب مصابيح الدجى . . . ومهما أنسَ من الأشياء فلن أنسى تسليطك عليهم ابن مرجانة الدعي . . . الذي اكتسب أبوك في ادعائه إياه لنفسه العار والخزي والمذلة . . .

(البلاذري، الأنساب ج ٤ ص ١٨-١٩)

ابن الزبير والحصين بن نمير

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال : [فيما ذكر هشام عنه، قال :] لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشام لا يعلمون بذلك قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه أخذ يناديهم هو وأهل مكة، علام تقاتلون؟ قد هلك طاغيتكم، وأخذوا لا يصدقونه، حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع الحنفي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق فمرَّ بالحصين بن نمير وكان له صديقاً وكان بينهما صهر وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله وإسلامه وشرفه، فسأل عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد. فبعث الحصين بن نمير إلى عبدالله بن الزبير فقال : موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطحُ، فقال له الحصين : إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر هلم فلنبايعك ثم أخرج معي إلى الشام فإن هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. فكان سعيد ابن عمرو يقول : ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطير لأن مكة التي

منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان وأن عبدالله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان. فزعم بعض قريش أنه قال: أنا أهدر تلك الدماء أم والله لا أرض أن أقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلمه سراً وهو يجهر جهراً وأخذ يقول: لا والله لا أفعل، فقال له الحصين بن نمير: قبح الله من يعدك بعد هذه داهياً قط أو أريباً، قد كنت أظن أن بك رأياً ألا أراني أكلمك سراً وتكلمني جهراً وأدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة، ثم قام وخرج وصاح في الناس فأقبل فيهم نحو المدينة. وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل إليه أمّا أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم، فقال له الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانع! فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة . . . واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون، وقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

(الطبري: ج ٢ ص ٤٣٠-٤٣٢)

وضع الأمويين بعد يزيد

[هشام بن محمد] عن عوانة بن الحكم:

أن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده، وكان معاوية بن يزيد بن

معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشام: «الصلاة جامعة»، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيب حتى مات. فقال بعض الناس دُس إليه فسقي سماً وقال بعضهم طعن. . .

ثم قدم عبيدالله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري، فثار زفر ابن عبدالله الكلابي بقنسرين يبايع لعبدالله بن الزبير، وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية بعده وكان يهوى هوى بني أمية وكان سيد أهل فلسطين، فدعا حسان بن مالك روح بن زنباع الجذامي فقال: إني مستخلفك على فلسطين وأدخل هذا الحي من لخم وجذام ولست بدون رجل إذا كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك. وخرج حسان بن مالك إلى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير. وقد كان عبدالله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفي بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم. فكان الناس فريقين حسان ابن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ويدعو إليهم والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبدالله بن الزبير ويدعو إليه. قال: فقام حسان بن مالك بالأردن فقال: يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل

الحرة؟ قالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة؟ قالوا نشهد أن يزيد على الحق وأن قتلانا في الجنة. قال: وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقاً يومئذ وشيعته على حق، وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليوم على باطل وشيعته. قالوا له: قد صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على أن تجنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابني يزيد بن معاوية عبدالله وخالداً فإنهما حديثة أسنانهما ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي. وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه عن إظهار ذلك أن بني أمية كانوا بحضرته وكان يعمل إلى ذلك سراً فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده وصنيعهم إليه ويدعوه إلى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر أنه منافق قد خلع خليفتين، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلاً من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه إلى ناغضة وقال: إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس، وكتب حسان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بني أمية إليهم. فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة فقال: أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس، فقال له الضحاك اجلس، ثم قام إليه الثانية، فقال له: اجلس، ثم قام إليه الثالثة، فقال له اجلس، فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس،

فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حساناً وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغساني فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير . . . واضطرب الناس تبعاً لهم. ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم في بعض، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار وخرقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة: لو كنت من كلب أو غسان أخرجت، قال: فجاء ابنا يزيد ابن معاوية خالد وعبدالله معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيرون الأول. وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك إلى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه، فقام إليه شاب من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد ويتعصبون ليزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر، وكان من الأجناد ناس يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير. فبعث الضحاك إلى بني أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم عند مواليه وعنده وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه، قال فتكتبون إلى حسان ونكتب فيسير من الأردن حتى ينزل

الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فنبايع لرجل منكم، فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا إلى حسان وكتب إليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو أمية فاستقبلت الرايات وتوجهوا يريدون الجابية. فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي إلى الضحاك فقال: دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد، فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نُظهر ما كنا نسر وندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط.

عوانة بن الحكم الكلبي قال: مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان بن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم. قال وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون. وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص وإلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين وإلى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج. وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم، وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير: هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا كانت

من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً، يعني خالد بن يزيد، فقال الحصين: لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزام الطبيين، فقالوا مهلاً يا با سليمان، فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها، إن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء وإن من يمد عنقه إلى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه، فقال له مالك: ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس. فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تذكرون عبدالله بن عمر الخطاب وصحبته من رسول الله ﷺ وقدمه في الإسلام وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجل ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وأما ما يذكر الناس من عبدالله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون إنه لابن الزبير حواري رسول الله ﷺ وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية بن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمر أمة محمد ﷺ المنافق وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية. قال:

فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية. قال: فدعا حسان بن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال: ابني أختي إن الناس قد أبوك لحداثة سنك وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان إلا نظراً لكم، فقال له خالد بن يزيد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأي لك ما رأيت. ثم دعا حسان بمروان فقال: يا مروان إن الناس والله ما كلهم يرضى بك، فقال له مروان: إن أراد الله أن يعطينيها لا يمنعني إياها أحد من خلقه وإن يرد ان يمنعنيها لا يعطنيها أحد من خلقه، قال: فقال له حسان صدقت. وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال: يا أيها الناس إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله، فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له. وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كلب، وأتته السكاسك والسكون وغسان ورجع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردن. قال: وعلى ميمنته أعني بمروان عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى ميسرته عبيدالله بن زياد، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه. وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم يشهد الجابية وكان مختبئاً بدمشق، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح فُتح على أمية. قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقتل الضحاك وقتل يومئذ من أشراف الناس ممن كان مع الضحاك

ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة ياخد ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها. . قال: وجاء برأس الضحاك رجل من كلب، وذكروا أن مروان حين أتي برأسه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظمأ الحمار أقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض. قال: وذكروا أنه مر يومئذ برجل قتيل فقال:

وما ضرهم غير حين النفو س أي أميري قريش غلب

وقال مروان حين بويع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيت الأمر أمراً نهبا يسرت غسان لهم وكلبا

والسكسكيين رجالاً غلبا وطيئاً تأباه الأضربا

والقين تمشي في الحديد نكبا ومن تنوخ مشمخرٍّ صعبا

لا يأخذون الملك إلا غصبا وإن دنت قيس فقل لا قربا

(الطبري، ج٢، ص ٤٦٨-٤٧٨)

عبدالملك وعمرو بن سعيد الأشدق

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال: [فيما ذكر هشام بن محمد عنه] أن عبدالملك ابن مروان لما رجع من بُطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد حتى إذا كان ببطبان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي حتى أتى دمشق وعليها عبدالرحمن ابن أم

الحكم الثقفي قد استخلفه عبدالملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب و ترك عمله ودخلها عمروفغلب عليها وعلى خزائنها .

قال (عوانة) : ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبدالرحمن بن أم الحكم فلم يصبه فأمر بداره فهدمت ، واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أنه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه ، وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إليَّ من ذلك شيء غير أن لكم علي حسن المواساة والعطية ، ونزل . وأصبح عبدالملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره ، فرجع عبدالملك إلى دمشق فإذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياماً وكان عمرو بن سعيد إذا اخرج حمية بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبدالملك سفيان بن الأبرد الكلبي ، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبدالملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي .

[قال هشام] حدثني عوانة . . . فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش ، فحلف كل واحد منهما أن لا يرجع حتى يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا إلى حريث فرجع ، ثم إن عبدالملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينها كتاباً ، وآمنه عبدالملك وذلك عشية الخميس .

[قال هشام] فحدثني عوانة ، أن عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلداً قوساً سوداء فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبدالملك فانقطت الأطناب وسقط

السرادق، ونزل عمرو فجلس وعبدالملك مغضب فقال لعمرو: يا با أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس، قال: لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية، ثم قام مغضباً والخيل معه حتى دخل دمشق. ودخل عبدالملك دمشق يوم الخميس فبعث إلى عمرو أن ائتني وهو عند امرأته الكلبية، وقد كان عبدالملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له: في هذا هلكت حمير، لا أرى لك ذلك، لا ناقتي في ذا ولا جملي. فلما أتى رسول عبدالملك عمراً يدعوه صادف الرسول عبدالله ابن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبدالله لعمرو بن سعيد: يا با أمية والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تاتية وأنا أرى لك أن لا تفعل، فقال له عمرو: ولم؟ قال: لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال: إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل، فقال له عمرو: والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك مني مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه. وكان عبدالله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد، فقال عمرو للرسول: أبلغه السلام وقل له: أنا رائح إليك العشية إن شاء الله. فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي وقميص قوهي وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي، فلما نهض متوجهاً عثر بالبساط فقال له حميد أما والله لئن أطعتني لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت إلى قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه. وقد بعث عبدالملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده، فلما بلغ عبدالملك أنه بالباب أمر أن يحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم يزل أصحابه يحبسون

عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه إلا وصيف له، فرمى عمرو ببصره نحو عبدالملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت إلى وصيفه فقال انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد فقل له: يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له: لبيك، فقال له: اغرب عني في حرق الله وناره، وقال عبدالملك لحسان وقبيصة إذا شئتما فقوما فالتقيا وعمراً في الدار... ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني، فقال له: لبيك! ولم يفهم عنه، فقال عمرو: اغرب عني. فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت ودخل عمر فرحب به عبدالملك وقال ها هنا يا با أمية يرحمك الله فأجلسه معه على السرير وجعل يحدثه طويلاً، ثم قال: يا غلام خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين، فقال عبدالملك: أو تطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال له عبدالملك: يأبا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إنك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية، فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال يا غلام: قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبدالملك: أمكرا أبا أمية عند الموت لا ها الله أذن ما كنا لنخرجنك في جامعة على رؤوس الناس ولما نخرجها منك إلا صعداً، ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو:

أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك إلى كسر عظم مني أن تركب ما هو أعظم من ذلك، فقال له عبدالملك: والله لو أعلم أنك تبقي علي أن أبقي عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه. (ثم يورد مقتل عمرو بن سعيد)

(الطبري ج ٣ ص ٧٨٣ وما بعدها)

عبدالملك وآل الزبير

قال عوانة: وكان إبراهيم بن الأشتر عاملاً للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها، فكتب إليه المصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبد الله بن الزبير فسارع إلى ذلك وقدم عليه فولى المهلب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله وأعاد إبراهيم بن الأشتر إلى عمله، فلما صح عنده وصول عبدالملك يريده بعث إلى ابن الأشتر فأقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى أتى دمما وهي من عمل الأنبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب أوانا وهناك دجيل ودير الجاثليق وباجميرا، فعسكره وموضع وقعته بين هذه المواضع. وكاتب عبدالملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغبتهم في الأموال والأعمال وكتب إليه جماعة منهم يستعجلونه على نصرتهم إياه وانحرافهم عن المصعب ولاية إصبهان، فكان يسأل عنها ويقول ما إصبهان هذه أتنبت الذهب والفضة لقد كتب إلي فيها أربعون كتاباً. وكتب عبدالملك إلى إبراهيم بن الأشتر فجعل له ولاية العراقين، فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له أصلح الله الأمير إن عبدالملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب إلا وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله وقد أفسدهم عليك فأنا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصرين فتشدهم بالحديد، فقال له: يا أبا النعمان انأخذ الناس بالظنة؟ قال: فاجمعهم في أبيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب

معك، قال: إذاً أفسد قلوب عشائرهم، قال: فابعث بهم إلى أخيك بمكة، فقال: ليس هذا برأي، قال فإن لقيت العدو فلا تمدني بأحد منهم واتهمهم.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٣٦-٧)

[قال الهيثم عن] عوانة: قال عبدالله بن صفوان الجمحي لأبي العباس الأعمى: أخبرني عن مروان ويوم المرج، فقال: لم أسمع بمثله وإنه لكما قال حصين بن الحمام المري:

ترى الموت لا ينحاش عنه تكرماً ... وصبراً وإن كان القيام على الجمر

حفاظاً على ما أورثتنا جدودنا ... وصبراً وما في الناس خير من الصبر

بذلك أوصانا ابن عوف فلم نزل ... على الملك نمضي لا نضج من الدهر

فقال: ما أبصرك بأبي عبدالملك، وإن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن، وإن أكبر ظني أنه وبنيه سيملكون لأن عثمان ضم عبدالملك إلى صدره وقال: رأيتني وقد أخذت برنسي فوضعته على رأسه وقد ولده أبو العاص مرتين.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٤٠)

وقال عوانة بن الحكم: دخل عبدالملك بن مروان الكوفة حين قتل مصعباً فأقام بها أياماً. ثم وجه جيشاً إلى ابن الزبير وهو بمكة واستعمل عليه الحجاج ابن يوسف الثقفي فأقبل عليه الهيثم بن الأسود النخعي فقال له: يا أمير المؤمنين أوص هذا الغلام الثقفي بالكعبة ومره أن لا ينفر أطيارها ولا يهتك أستارها ولا يرمي أحجارها وأن يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وأنفاقها حتى يموت فيها جوعاً أو يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبدالملك للحجاج، افعل ذلك

واجتنب الحرم وانزل الطائف، فسار الحجاج حتى نزل الطائف. ثم إنه كتب إلى عبدالملك إنك متى تدع ابن الزبير وتكف عنه ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عدده وعدده وسلاحه فأذن لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه افعل ما ترى، فأمر أصحابه أن يتجهزوا للحج ثم أقبل من الطائف وقدم مقدمته فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس، فلما هبطوا إلى منى رأى من في عسكر الحجاج المنجنيق منصوبة فقال الأقيبل بن شهاب الكلبي، وهو ينسب في القين بن جسر فيقال القيني:

لعمرُ أبي الحجاج لو خفت ما أرى ... من الأمر ما ألفيت تعذلني نفسي

فلم أر جيشاً عز بالحج قبلنا ... ولم ار جيشاً مثلنا غير ما خرس

يقول لا يتكلم ولا ينكر،

خرجنا لبيت الله نرمي ستوره ... وأحجاره زفن الولائد في العرس

ذلفنا له يوم الثلاثاء من منى ... بجيش كصدر الفيل ليس بذي رأس

فالا ترحنا من ثقيف وملكها ... نصل لأيام السباسب والنحس

فبلغ الحجاج الشعر فطلبه ليقتله فهرب حتى لحق بدمشق.

(البلاذري - الأنساب ج ٥ ص ٣٥٧-٨)

وقال عوانة: رميت الكعبة حتى ارتجت ووهت فارتفعت سحابة ذات برق ورعد فسقطت صاعقة على المنجنيق فأحرقتها وقتلت من أصحابها اثني عشر رجلاً، فذعر أهل الشام من ذلك وكفوا عن القتال. فقال الحجاج أنا ابن تهامة وهي بلاد كثيرة الصواعق فلا يروعنكم ما ترون فإن من قبلكم كانوا إذا قربوا

قرباناً بعثت نار فأكلته فيكون ذلك علامة تقبل ذلك القربان، فأتى بمنجنيق وعاود الرمي.

(البلاذري، أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٦٣)

لما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه، فأبت أن تفعل. فبعث إليها لتقبلن أو لأبعثن إليك من يجرك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال لست أفعل أو تبعث إلي من يجرني بقروني. فلبس سبته وجعل يتوذف في مشيته حتى دخل عليها فقال: كيف رأيت ما صنعتُ بطاغيتك؟ قالت: من عنيت؟ قال: عبدالله، قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك وإني لأعجب مما فعلت تعييرك إياي بالنطاقين، فليت شعري بأي نطاقي عيرتني، أبالذي كنت أحمل به الطعام إلى رسول الله ﷺ وهو في الغار أم بنطاقي الذي تنتطق الحرة بمثله في بيتها؟ أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون في ثقيف مبير وكذاب، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت هو فانصرف وهو يقول مبير المنافقين مبير المنافقين، قالت بل عمودهم.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٦٩-٣٧٠)

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن] عوانة عن رجل من أهل مكة قال: لما أتى عبدالله بن الزبير مقتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً، ثم تحدث به الإماء بمكة في الطرق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم، وإذا الكآبة بادية في وجهه وجبينه يرشح عرقاً، قال: فقلت لصاحب لي ألا تراه؟ أتراه يهاب المنطق والله إنه لخطيب جريء. فما تظنه تهيب؟ قال أراه يريد ذكر مصعب سيد

العرب فهو يفظع ذكره. ثم قام فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ألا وإنه لم يُذل امرءاً كان معه الحق وإن كان فرداً، ولم يعز أحداً من أولياء الباطل ولو كان الناس معه طرا، إنه أتانا خبر من العراق حزننا وأفرحنا وساءنا وسرنا، أتانا قتل مصعب بن الزبير -رحمه الله- فأما الذي حزننا فما ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي بعد ذو الرأي والدين والحجى والنهى إلى جميل الصبر وكريم العزاء، وأما الذي سرنا من ذلك فإنا قد علمنا أن قتله شهادة وأن الله جاعل ذلك لنا وله خيرة. إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل ثمن وأخسه فقتل، وإن قتل فمه قد قتل أبوه وعمه وهما من الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت جحباً، ما نموت إلا قتلاً قعصاً بأطراف الأسنة وظباة السيوف ليس كما يموت بنو مروان في حجالهم، فوالله ما قتل منهم رجل قط في جاهلية ولا إسلام، ولئن ابتليت بالمصيبة بمصعب لقد ابتليت قبله بالمصيبة بإمامي عثمان بن عفان، ألا وإنما الدنيا عارية من الملك الجبار الذي لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه، فإن تقبل علي لا آخذها أخذ الأشر البطر وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر، ثم نزل وهو يقول:

خذيني فجريني ضباع وأبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

(البلاذري - أنساب الأشراف ج٥ ص ٣٤٧-٨)

[عمر بن بكير عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي عن] عوانة قال:

كان خالد بن يزيد بن معاوية قد حج في السنة التي قتل فيها الحجاج عبدالله

ابن الزبير فخطب رملة بنت الزبير، فبلغ ذلك الحجاج فأرسل إليه حاجبه وقال: قل له: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاء وقد قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح. فلما بلغه الرسالة، نظر إليه خالد طويلاً ثم قال: لو كانت الرسل تعاقب لقطعتك آراباً ثم ألقيتك على باب صاحبك، قل له ما كنت أظن أن الأمر بلغ بك إلى أن تؤهل نفسك لأن أشاورك في مناكحة قريش، قلت ليس القوم لك بأكفاء فقاتلك الله يا ابن أم الحجاج، تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد وتزوج العوام صفية بنت عبدالمطلب، ولا تراهم أكفاء لآل أبي سفيان وبني أمية! وأما قولك قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح، فهي قريش تقارع بعضها بعضاً حتى إذا أقر الله الأمر مقره عادت إلى أحلامها وفضلها. فرجع إليه رسوله فأدى إليه قوله.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٤ ص ٦٦-٦٧)